ما لم يدلّ ظاهر لفظه على معناه في الأمثال العربيّة / دراسة تحليليّة

أحمد محمّد جاسم الموسويّ

ahmed.mohammed.abd@aliraqia.edu.iq

الجامعة العراقية / كلية الآداب

المستخلص:

يتناول هذا البحث ظاهرةً دلاليّةً بارزةً في الأمثال العربيّة، تتمثّل في عدم دلالة ظاهر اللّفظ على المعنى المراد، على الرغم من وضوح الألفاظ وسلامتها من الغريب. فيكشف البحث عن أسباب هذا الانفصال بين الدلالة الظّاهريّة والمعنى المراد، من خلال دراسة تحليليّة لنموذجات من الأمثال العربيّة التي لا يُفهم معناها الحقيقيّ اعتمادًا على ألفاظها وحدها.

وانطلق البحث من فرضيّة مفادها أنّ الغموض في هذه الأمثال ليس ناتجًا عن تعقيد لغويّ أو إبهام لفظيّ، وإنّما عن انتقال دلاليّ من الحقيقة إلى المجاز، أو عن استعمال الكناية والاستعارة والتمثيل، أو عن الإحالة إلى قصص وأحداث خارجيّة حُذفت قرائنها اللفظيّة طلبًا للإيجاز.

وقد اعتمدت في البحث المنهج التحليليّ، فتمّ تحليل الأمثال في ضوء شروح اللّغويّين، وبيان العلاقة بين المعنى الظّاهر والمعنى الباطن.

وتوصّل البحث إلى أنّ الغموض الدّلاليّ في بعض الأمثال العربيّة لا يعود إلى الألفاظ، بل إلى انقطاع الصّلة المباشرة بين الدّلالة الظّاهريّة والمعنى المراد.

الكلمات المفتاحية : المعنى الظّاهر – المعنى الباطن – الغموض – الأمثال

Words whose apparent meaning is not fully understood in Arabic proverbs: An analytical study

Ahmed Mohammed Jassim

Iraqi University – College of Arts

Abstract:

This research examines a prominent semantic phenomenon in Arabic proverbs: the failure of the literal meaning to convey the intended meaning, despite the clarity and unambiguousness of the words. The study explores the reasons for this disconnect between the apparent meaning and the intended meaning through an analytical examination of examples of Arabic proverbs whose true meaning cannot be grasped based solely on their wording.

The research is based on the hypothesis that the ambiguity in these proverbs does not stem from linguistic complexity or verbal obscurity, but rather from a semantic shift from literal to figurative meaning, or from the use of metonymy, metaphor, and allegory, or from references to external stories and events whose verbal clues have been omitted for the sake of brevity.

The research employs an analytical approach, analyzing the proverbs in light of linguistic interpretations and elucidating the relationship between the apparent and hidden meanings. The research concluded that the semantic ambiguity in some Arabic proverbs does not stem from the words themselves, but rather from a break in the direct link between the apparent meaning and the intended meaning.

Keywords: apparent meaning – hidden meaning – ambiguity – proverbs

DOI : https://doi.org/10.47831/4m0g3f38

الأمثال في اللّغة:

الأمثال في اللّغة جمع مثل، وهو أصل صحيح يدلّ على "مناظرة الشّيء للشّيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره... والمَثَل: المِثل أيضًا، كشَبَه وشِبْه. والمَثَل المضروب مأخوذ من هذا، لأنّه يُذكر مورًّى به عن مِثلِه في المعنى" (ابن فارس، 1979، صفحة 352/5).

والمثل هو الشّيء الّذي يضرب النّاس فيه مثلًا فيجعلونه مِثلَه، وهو أيضًا الحديث نفسُه (الأزهري، 2001، صفحة 70/15).

وذكر ابن منظور أنّ المثل: "كلمةُ تسويةٍ. يقال: هذا مِثله ومَثَله كما يقال شِبهه وشَبَهُه بمعنى" (منظور، 1993، صفحة 610/11).

وقال الجوهريّ: "مثل الشّيء: صفته، والمثال: الفراش، والجمع مُثُل.. والمثال معروف، والجمع أمثلة ومُثُل. ومثّلت له كذا تمثيلًا، إذا صورت له مثاله بالكتابة وغيرها" (الجوهري، 1987، صفحة 1816/5).

فالمثل إذن كلمة تحمل معاني عدّة، منها المناظرة والشّبه والحديث والصّفة وغيرها من المعاني الّتي ذكرها المعجميّون، أمّا الّذي يهمّنا فهو المثل الّذي يُضرب بين النّاس لتمثيله بشيء آخر، وهو ما سنتناول تعريفه في الاصطلاح.

الأمثال في الاصطلاح:

أمّا المثل في الاصطلاح فهو: "جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتّسم بالقبول، وتشتهر بالتّداول، فتنقل عمّا وردت فيه إلى كلّ ما يصحّ قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها وعمّا يوجّه الظّاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها" (السيوطي، 1998، صفحة 375/1)، فالمثل وفق هذا التّعريف هو جملة موجزة يتداولها المجتمع، فتقال في كلّ حدث يناسب ما فيها من معنى، بحيث يصبح بينهما توافق ومماثلة تحظى بالقبول عند المتلقّين.

ويتّصف المثل بثلاث صفات هي: الإيجاز، وحسن التّشبيه، وإصابة المعنى (القيرواني، 1981، صفحة 280/1)، وأضاف إبراهيم النّظّام صفة رابعة وهي جودة الكناية، عادًّا المثل نهاية البلاغة (النويري، 2002، صفحة 2/3).

وسُمّيَ المثل بهذا الاسم لأنّه "مائل لخاطر الإنسان أبدًا، يتأسّى به، ويعظ ويأمر ويزجر" (القيرواني، 1981، صفحة 280/1)، فهو يختصر ويصوّر كثيرًا من المعاني والمشاعر والمواقف.

وقال ابن السّكّيت: "المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللّفظ، شبّهوه بالمثال الّذي يُعمل عليه غيره" (الميداني، 1955، صفحة 6/1).

والمثل أيضًا هو "حكمة العرب في الجاهليّة والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح" (السيوطي، 1998، صفحة 374/1).

ونقل السّيوطيّ قول الفارابيّ في المثل بأنّه: "ما تراضاه العامّة والخاصّة في لفظه ومعناه، حتّى ابتذلوه فيما بينهم وفاهوا به في السّرّاء والضّرّاء، واستدرّوا به الممتنع من الدّرّ ووصلوا به إلى المطالب القصيّة، وتفرّجوا به عن الكرب والمكربة، وهو من أبلغ الحكمة لأنّ النّاس لا يجتمعون على ناقص أو مقصّر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النّفاسة" (السيوطي، 1998، الصفحات 374/1-375).

فالمثل جملة قصيرة تعدّ من أبدع صور البلاغة، فهو يختصر كثيرًا من المعاني بأقلّ عدد من الألفاظ، ويقال لأغراض كثيرة منها الوعظ والإرشاد والنّهي والأمر وغيرها.

DOI : https://doi.org/10.47831/4m0g3f38

انحراف المعنى عن ظاهره:

لا تقتصر وظيفة اللّغة على نقل المعاني مباشرة، بل تتجاوز هذا الأمر إلى الإشارة والتّلميح الّذي يحتاج فيه المتلقّي إلى بذل جهد ذهنيّ للوصول إلى المعنى المراد، وأحيانًا يُطلق اللّفظ ويُراد به غير ظاهره، قال عبد القاهر الجرجانيّ: "اعلم أنّ لهذا الضرب اتّساعًا وفنًّا لا إلى غاية، إلّا أنّه على اتّساعه يدور في الأمر الأعمّ على شيئين: الكناية والمجاز" (الجرجاني، 1992، صفحة 66).

واتّسمت الأمثال العربيّة بقوّة البلاغة، وقد ذكرنا أنّ بعضهم عدّها بأنّها منتهى البلاغة، ولذلك تتميّز أحيانًا بالانغلاق الّذي يحتاج فيه المتلقّي إلى تأمّل وإعمال فكر للوصول إلى المعنى، لأنّ ظاهر اللّفظ أحيانًا لا يدلّ على المعنى المراد، فنجد أمثالًا تتميّز ألفاظها بالسّهولة ويفهم المتلقّي منها معنًى، في حين المراد غير المعنى الّذي فُهم، وبحثنا هذا سيتناول أنموذجات من الأمثال العربيّة الّتي لم يدلّ ظاهر لفظها على معناها، إذ تكون بحاجة إلى أن يعود فيها القارئ إلى أقوال المفسّرين واللّغويّين ومعرفة قصّة المثل ليصل حينها إلى المعنى الحقيقيّ، قال أبو هلال العسكريّ: "وَلَيسَ من حفظ صَدرًا من الغَرِيب فَقَامَ بتفسير قصيدة وكشف أغراض رِسَالَة أَو خطْبَة قَادِرًا على أَن يقوم بشرح الأَمْثَال والإبانة عَن مَعَانِيهَا وَالإِخبَار عَن المَقَاصِد فِيهَا، وَإِنَّمَا يحتَاج الرّجل فِي مَعرفَتهَا مَعَ العلم بالغريب إِلَى الوُقُوف على أُصُولهَا والإحاطة بأحاديثها، ويكمل لذَلِك من اجتهد فِي الرِّوَايَة وَتقدّم فِي الدِّرَايَة" (العسكري، 1987، صفحة 5/1).

وسنلحظ أنّ دراسة ألفاظ المثل من خلال العودة إلى المعجمات لا يفي بالغرض، إذ إنّ اللّفظ المجرّد يُعطي دلالة عامّة لا تبيّنُ المراد، فضلًا عن أنّ التّفسير المعجميّ لألفاظ المثل لا تُعن على فكّ شفرة المعنى، ومن ثمّ علينا العودة إلى ما ذكره اللّغويّون وأصحاب كتب الأمثال.

ممّا لم يدلّ ظاهر لفظه على معناه في الأمثال قولهم:

1- "إِنَّهُ لَيَعلَمُ مِن أَينَ تُؤكَلُ الكَتِفُ" (الميداني، 1955، صفحة 11/3)

قال الميدانيّ: "يضرب للرّجل الدّاهي. قال بعضهم: تؤكل الكتف من أسفلها، ومن أعلى يشقّ عليك، ويقولون: تجرى المَرَقَة بين لحم الكتف والعظم، فإذا أخذتها من أعلى جَرَت عليك المرقة وانصبَّتْ، وإذا أخذتها من أسفلها انْقَشَرَتْ عن عظمها وبقيت المرقة مكانَها ثابِتَة" (الميداني، 1955، صفحة 42/1).

نلحظ في هذا المثل وضوح الكلمات وخلوّه من الغريب، إلّا أنّه لا يشير إلى أكل الكتف على الحقيقة، بل يريد الإخبار عن رجل داهية، بصير بمداخل الأمور ومخارجها، يعرف من أين تُؤتى المشكلات وكيف تُعالج، وهذا المعنى لا يُفهم من ظاهر اللّفظ إلّا عند معرفة المثل وسياقه الثّقافيّ.

فالغموض ليس في اللّفظ نفسه، بل في الانتقال من المعنى الحقيقيّ إلى المعنى المجازيّ، وهذا الانتقال غير واضح من الألفاظ، فقوله (تُؤكل الكتف) لا علاقة له بالعقل أو الدّهاء في الظّاهر، ثمّ لا يوجد في الألفاظ ما يشير إلى الحيلة أو الفطنة، فالعلاقة بين معرفة موضع الأكل ودهاء الرّجل علاقة مجازيّة لم تدلّ عليها الألفاظ مباشرة.

والرّابط بين المعنى الظّاهر والباطن هو الاختلاف في طريقة أكل الكتف، فقد قيل: "أكلُها من أسفلها لأنّه يسهل انحدار لحمها ومن أعلاها يكون متعقّدًا ملتويًا لأنّه غُضروف مشتبك باللّحم، وبعضهم يقول: المرقة تجري بين لحم الكتف والعَظْم فإذا أخذتها من أعلى خرت عليك المرقة وانصبّت، وإذا أخذتها من أسفلها انقشر من عظمها خاصة والمرقة مكانها ثابتة" (السيوطي، 1998، صفحة 385/1)

وجاء في شرح مقامات الحريريّ: "يضرب مثلًا لمن جرّب الأمور ودرى تصرّفها، قال البكريّ: إنّ لحم الكتف إذا أكل من أعلاه تناثر، وإذا أكل من قبل الغضروف، لم يتأتّ لآكله" (الشريشي، 2006، صفحة 449/3).

DOI : https://doi.org/10.47831/4m0g3f38

فالدّلالة الظّاهريّة لنَصّ المثلِ تُبيّن أنّ من يأتي الكتف من أعلاها يتعب وتتسكب عليه المرقة، ومن يأتيها من أسفلها ينجح بسهولة وتظلّ المرقة ثابتة، أمّا المعنى المراد فهو أنّ الرّجل الذّاهية لا يواجه الأمور من جهتها الصّعبة، بل يعرف مواطن الضّعف ومفاتيح الحلّ، فينجز الأمر بأقلّ جهد وأفضل نتيجة.

وفي المقابل تصف العرب الرّجل الضّعيف الرّأي بقولهم: (إنّه لا يحسن أكل الكتف)، أنشد الأصمعيّ:

إِنِّي عَلَى مَا تَرينَ مِن كِبر ... أَعلَمُ مِن أَينَ تُؤكَلُ الكَتِف (الشريشي، 2006، صفحة 385/1)

2- "اربِط حِمَارَكَ إِنَّهُ مُستَنْفِر" (الميداني، 1955، صفحة 310/1)

هذه الألفاظ في ظاهرها تُعطي أمرًا لرجلٍ أن يربط حماره لأنّه مضطرب، فالمَثَل على ظاهره لا غموض فيه، إلّا أنّ معناه على غير ظاهره، فهو يُضرب للرّجل الّذي يؤذي قومه، أي كفَّ لسانك عن أذاهم، فإنّك قد استنفرت وبالغت في شتمهم (الدينوري، 1949، صفحة 793/2).

فالمثل يتكوّن من ألفاظ مألوفة ودلالاتها المعجميّة مباشرة، في حين المعنى المراد لا علاقة له بالحمار ولا بالرّبط، وإنّما يُضرب لمن يسيء إلى قومه، ويتمادى في شتمهم وإيذائهم، ويُطلب منه الكفّ، وهذا المعنى المجازيّ لا يدلّ عليه ظاهر الألفاظ، فالقارئ غير العارف بالمثل سيبقى عند المعنى الحقيقيّ المباشر ولا يصل إلى المراد.

ثمّ لو سمع شخصٌ غريب عن الثّقافة العربيّة هذا المثل، لفهم أنّ هناك حمارًا هائجًا يجب تقييده لئلّا يهرب، وهذا هو المعنى المعجميّ الّذي لا غبار عليه، إلّا أنّ المثل مبنيّ على استعارة، إذ شُبِّه حال الرّجل الّذي ينطلق لسانه في شتم قومه وإيذائهم دون توقّف بحال الحمار المستنفر.

إذن تكمن بلاغة هذا المثل في أنّ ألفاظه تخدع السّامع بوضوحها وخلوّها من التّعقيد، في حين معناه يدور حول أمر اجتماعيّ وأخلاقيّ مفادُهُ ضبط النّفس وكفّ الأذى.

3- "إِذَا صَاحَتِ الدَّجاجَةُ صِياحَ الدِّيكِ فَلتُذبَح" (الميداني، 1955، صفحة 61/1)

رُوي أنّ هذا المثل قاله الفرزدق عندما أخبروه أنّ امرأةً قالت شعرًا (الميداني، 1955، صفحة 61/1)

والمثل يتكوّن من ألفاظ صريحة مباشرة، فالدّجاجة طائر معروف، والدّيك ذَكَر الدّجاج وهو معروف بصياحه.

والتّفسير الظّاهر أنّ الدّجاجة إذا قلّدت فعل الدّيك في صياحه فلتذبح، وهذا يبدو مستحيلًا في الواقع، ولذلك المعنى الحقيقيّ للمثل ليس هذا، وإنّما أراد الفرزدق أن يقول إنّ الشّعر أمر خاصّ بالرّجال، وينبغي للنّساء ألّا تخوض فيه.

ويمكن أن يكون معنى المثل شاملًا لأيّ امرئ يحاول تقليد فعلٍ مختصّ بغيره، أو تجاوز حدود دوره.

وهذا المعنى لا يدلّ عليه اللّفظ الظّاهر البتّة، إذ لا يوجد في الألفاظ ما يشير إلى المرأة أو الشّعر أو تعدّي الحدود، فالألفاظ تتحدّث عن طائرين هما الدّيك والدّجاجة، في حين المراد يتعلّق بسلوك اجتماعيّ بشريّ، ثمّ لم تُذكر أيّ قرينة لفظيّة تدلّ على انتقال المعنى من الحيوان إلى الإنسان، فالعلاقة بين ما ورد في المثل من تقليد الدّجاجة لصوت الدّيك وبين تجاوز المرأة لدورها علاقة مجازيّة تمثيليّة لا تهدي إليها الألفاظ بذاتها، فالقارئ من دون معرفة مناسبة المثل سيبقى عند الدّلالة الظّاهريّة للمثل، وبالنّتيجة الميل عن المعنى المراد.

ونلحظ في المثل استعارة، إذ شبّه الفرزدق المرأة بالدّجاجة، مشيرًا إلى مكانتها الّتي يراها في ذلك العصر بأنّها أقلّ من مكانة الرّجل في ميادين معينة، وشبّه صياح الدّيك بقول الشّعر، فالدّيك يصدح بصوته ويُسمِع من حوله، وهذا يشير إلى الشّاعر الّذي يلقي شعره في

DOI : https://doi.org/10.47831/4m0g3f38

المحافل، فالفرزدق يعدّ الشّعر صنعة ذكوريّة، لذلك قال (فلتذبح)؛ وهو أمر بالإسكات أو المنع، وليس أمرًا بقتل المرأة جسديًّا، بل دعوة لإسكات صوتها، ومنعها من دخول هذا الميدان الّذي يعدّه حكرًا على الرّجال.

4- "إِيَّاكَ وَقَتِيلَ العَصَا" (الميداني، 1955، صفحة 65/1)

من يقرأ هذا المثل لا يكاد يجد لفظة غريبة، فهو يتألّف من ألفاظ ظاهرة الدّلالة، فـ(إيّاك) أسلوب تحذير واضح، و(قَتيل) اسم مفعول معناه المقتول، لا لبس فيه، و(العَصَا) اسم الآلة المعروفة الّتي تُمسك وتُستعمل للضّرب، فظاهرًا يكون المعنى: الحذر من شخص قُتل بالعصا.

قال الميدانيّ: "يريد إيّاك وأن تكون القتيلَ في الفتنة الّتي تفارق فيها الجماعة، والعصا: اسم للجماعة، قال:

فَلِلَّهِ شَعبَا طِيَّةٍ صَدَعا العَصَا ... هِيَ اليَومَ شَتَّى وَهيَ أَمسِ جَمِيع

يريد فرّقا الجماعة الّذين كانوا متجاورين، وكان حقّه أن يقول صدعت على فعل الطّيّة لكنّه جعله فعل الشّعبين توسُّعًا، وقوله (هي اليوم) يعني العصا، وهي الجماعة، وشَتَّى أي متفرّقة" (الميداني، 1955، صفحة 65/1)

فالعرب في هذا المثل لا تتحدّث عن عصا تُقتل بها، بل تريد الحذر من أن تكون ضحيّة الفتنة حين تتشقّ الجماعة وتفترق صفوفها، فالعصا هنا ليست عصًا حقيقيّة، بل كناية عن الجماعة؛ لأنّ كسر العصا أو صدعها يؤدّي إلى تفريق المجتمع وتفكّك الوحدة.

قال أبو عبيد: "وأصل العصا الاجتماع والائتلاف، ومنه قيل للخوارج: قد شقّوا عصا المسلمين، أي فرّقوا جماعتهم. ومنه قيل للرّجل إذا أقام بالمكان واطمأنّ به واجتمع إليه أمره: قد ألقى عصاه. وقال الشّاعر:

فَأَلقَت عَصَاهَا وَاستَقَرَّت بِهَا النَّوَى ... كَمَا قَرَّ عَينًا بِالإِيَابِ المُسَافِرُ" (الهروي، 1984، صفحة 360/3)

و(قتيل العصا) كناية عن من يقع قتيلًا أو هالكًا بسبب تفرّق النّاس ودخولهم في الفتنة، جاء في لسان العرب: "العَصَا تُضرَب مَثَلًا لِلاجتِمَاعِ، ويُضرب انْشِقاقُها مَثَلًا للافتِراقِ الَّذِي لَا يكونُ بَعدَهُ اجتماعٌ، وَذَلِكَ لأَنَّها لَا تُدعَى عَصًا إِذا انشَقَّت" (منظور، 1993، صفحة 66/15)

فالغموض في المثل ناشئ عن استعمال كلمة (العصا) في غير معناها الحقيقيّ دون أيّة علامة لفظيّة تشير إلى أنّها الجماعة، فاللّفظ لا يكشف علاقة القتيل بالفتنة، لأنّه ظاهرًا يتحدّث عن قتيل ضُرب بعصا، فألفاظ المثل لا تدلّ بظاهرها على المعنى الحقيقيّ، ويحتاج السّامع إلى معرفة ثقافيّة مسبقة لبيان المعنى.

إذن لا يمكن للمتلقّي الوصول إلى المعنى المراد من خلال الألفاظ وحدها، بل يجب أن يدرك أنّ العصا كناية عن الجماعة، وأنّ القتيل هنا هو ضحيّة الانشقاق لا ضحيّة الضّرب.

5- "إِذَا كُنتَ فِي قَومٍ فَاحْلُب فِي إِنَائِهِم" (الميداني، 1955، صفحة 60/1)

ويضرب هذا المثل في الأمر بالمُوَافقة، وفي المعنى نفسه قال الشّاعر:

إِذَا كُنتَ في قَومٍ عِدًى لَستَ مِنهُمُ ... فكُلْ مَا عُلِفتَ مِن خَبِيثٍ وَطَيِّبِ" (الميداني، 1955، صفحة 60/1)

فهذا المثل العربيّ يجري على الألسنة للدّلالة على وجوب الموافقة ومجاراة القوم ومعاشرتهم على طريقتهم، لكنّ الألفاظ في ظاهرها لا تدلّ على هذا المعنى مطلقًا، فهي تحمل معنى حسّيًّا بعيدًا عن المراد المعنويّ، فقوله (احلب في إنائهم) جملة يُفهم منها حقيقةُ الحلب في الإناء.

DOI : https://doi.org/10.47831/4m0g3f38

ولكن جاء الحلب في الإناء هنا مجازًا ليدلّ على مشاركتهم طريقتهم، وعدم مخالفتهم أو الخروج عنهم، فكما أنّ الضّرع واحد والإناء واحد، فكذلك ينبغي أن يكون السّلوك واحدًا.

فالغموض الحاصل من عدم دلالة اللّفظ على المراد بسبب أنّ الحلب والإناء في اللّغة لا علاقة لهما بمفهوم الموافقة.

فألفاظ المثل (حلب، إناء، قوم) واضحة في دلالتها الحسّيّة المباشرة، ولكنّها لا تدلّ على المعنى المراد؛ وهو الموافقة ومجاراة النّاس إلّا بعد الانتقال من دلالة الحقيقة إلى دلالة المجاز، وإلى المعنى العرفيّ الاجتماعيّ الّذي لا ينهض به اللّفظ وحده.

إذن المثل يُضرب في الموافقة والمداراة ومسايرة القوم في طباعهم وآرائهم، حتّى إن كانت مخالفة لك.

6- "أَجهَلُ مِن حِمَار" (الميداني، 1955، صفحة 189/1)

يبدو المثل في الوهلة الأولى أنّه تشبيه مباشر بالحمار الحيوان؛ فالألفاظ واضحة، والذّهن ينصرف تلقائيًّا إلى الحمار المعروف الّذي هو رمز البلادة والجهل، لكنّ المعنى المراد في المثل هنا مختلف تمامًا، ولا تدلّ عليه الألفاظ صراحة؛ إذ إنّ الحمار في المثل ليس الحيوان، بل رجل من العرب اسمه حمار بن مويلع.

وقصّة هذا المثل أنّ حمار بن مويلع كان مسلمًا، وكانت له أرض خصبة طولها مسيرة يوم وعرضها أربعة فراسخ، فيها من كلّ الثّمار، فخرج أبناؤه يومًا للصّيد فأصابتهم صاعقة أهلكتهم جميعًا، فجزع لذلك وكفر، وقال: لا أعبد من فعل هذا بأبنائي، ثمّ صار يدعو قومه إلى الكفر، وجعل يقتل كلّ من خالفه، فأهلكه الله، فصار يُضرب به المثل في الجهل. (الميداني، 1955، صفحة 168/2)

فالمثل لا يُفهم فهمًا صحيحًا إلّا بمعرفة مسبقة بقصّة الرّجل، فألفاظ المثل واضحة، لكنّ معناه الحقيقيّ لا تشير إليه الألفاظ.

والسّبب في غموض المعنى وعدم بيانه من الألفاظ هو أنّ كلمة (حمار) مشتركة بين اسم الحيوان واسم الرّجل، ولأنّ اسم الحيوان هو الأكثر شيوعًا وتداولًا، فإنّه يطغى على ذهن السّامع ويحجب عنه الشّخصيّة التّاريخيّة المقصودة، فضلًا عن غياب القرينة اللّفظيّة، إذ لا توجد في المثل أيّ كلمة تشير إلى أنّنا نتحدّث عن إنسان، فلو قيل (أجهل من حمار بن مويلع) لزال اللّبس، ولكن حُذف نسب الرّجل للإيجاز، ممّا جعل المعنى مُعمّى رغم وضوح الكلمات.

فهذا المثل ممّا لم يدلّ ظاهر لفظه على معناه، لأنّ الألفاظ لا تشتمل على قرينة داخليّة تكشف المقصود، فالمعنى المراد قائم على قصّة خارجيّة، والسّامع يفهم ظاهرًا غير المراد لو لم يعرف القصّة.

فالمثل واضح الألفاظ غامض الدّلالة؛ لأنّ ظاهر قولهم (أجهل من حمار) يُوهِم التّشبيه بالحمار الحيوان، في حين المقصود رجل اسمه حمار ضربت به العرب المثل في الجهل بعد أن دعا قومه إلى الارتداد والكفر.

7- "أَحوَلُ مِن ذِئب" (الميداني، 1955، صفحة 228/1)

يتركّب هذا المثل من ألفاظ واضحة الدّلالة في أصلها اللّغويّ، فالأحول هو الّذي في عينيه حَوَل، والذّئب حيوان معروف. وبالنّظر إلى ظاهر التّركيب، يوحي المثل بوصفٍ حسيّ جسديّ يتعلّق بعيبٍ في النّظر، وهو معنى مباشر لا غموض فيه من جهة اللّفظ.

غير أنّ هذا المعنى الظّاهر ليس هو المراد من المثل في استعماله العربيّ؛ إذ لم يُقصد به الحَوَل الحقيقيّ في العين، وإنّما أُريد به الحيلة والدّهاء، قال الميدانيّ: "هذا من الحيلة، يقال: تَحَوَّلَ الرّجلُ، إذا طلب الحِيلَةَ" (الميداني، 1955، صفحة 228/1)

ويؤيّد ذلك ما ذكره الأزهريّ بقوله: "يُقَال تحوّل الرّجلُ واحْتَال إِذا طلب الحِيلَة... وَيُقَال: هَذَا أَحول من ذئب، من الحِيلة، وَهُوَ أَحول من أَبِي بَرَاقِن، وَهُوَ طائرٌ يتلوَّنُ ألوانًا. وأحوَلُ من أَبِي قَلَمُون وَهُوَ ثوب يتلَوَّن ألوانًا" (الأزهري، 2001، صفحة 158/5)

DOI : https://doi.org/10.47831/4m0g3f38

وجاء في لسان العرب: "الحول: ذُو التَّصَرُّفِ وَالِاحتِيَالِ فِي الأُمور... واحتَال: مِنَ الحِيلة، وَمَا أَحوَله وأَحيَله مِنَ الحِيلة، وَهُوَ أَحوَل مِنكَ وأَحيَل مُعَاقَبَةً، وإِنّه لَذُو حِيلة. والمَحالة: الحِيلة نَفسُهَا. وَيُقَالُ: تَحَوَّل الرّجلُ واحتَالَ إِذا طَلَبَ الحِيلة" (منظور، 1993، صفحة 186/11)

وممّا ورد على هذا التّصريف ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ﴾: "قويُّ المكر بأعدائه، يأتيهم بالهلاك من حيث لا يحتسبون. المُحال: المماحَلة، وهي شدّة المماكَرة والمكايَدة، ومنه تمحَّل لكذا: إذا تكلَّف له استعمالَ الحيلة واجتهد فيه. وقُرئ بفتح الميم على أنّه مَفعَلٌ مِن حال يَحُول مَحالًا: إذا احتال، ومنه: أَحوَلُ من ذئب؛ أي: أشدّ حيلة منه" (الحنفي، 2018، الصفحات 383–384)

إذن قد يتبادر إلى ذهن السّامع أنّ المثل يصف الذّئب بالحَوَل، وأنّ الشّخص المقصود بالمثل لديه انحراف في البصر أشدّ ممّا لدى الذّئب، وهذا المعنى غير مراد، وإنّما أُرِيد الحيلة، فالمقصود بـ(أحول) هنا هو صيغة التّفضيل المشتقّة من الحِيلَة، فالمعنى المراد أنّ هذا الشّخص أكثر دهاءً ومكرًا من الذّئب، الّذي يُضرب به المثل في الدّهاء والخبث، وليس في انحراف البصر.

نتائج البحث:

1. تبيّن أنّ الغموض الدّلاليّ في بعض الأمثال العربيّة لا يعود إلى الألفاظ، بل إلى انقطاع الصّلة المباشرة بين الدّلالة الظّاهريّة والمعنى المراد.
2. كشفت الدّراسة أنّ المجاز والكناية والاستعارة من أبرز العناصر اللّغويّة الّتي أسهمت في عدم دلالة ظاهر اللّفظ على المعنى المقصود في الأمثال.
3. أكّد البحث أنّ الأمثال العربيّة تمثّل نصوصًا دلاليّة مركّبة لا يُكتفى فيها بالتّحليل المعجميّ، بل تتطلّب مقاربة تداوليّة وثقافيّة.

DOI : https://doi.org/10.47831/4m0g3f38

المصادر والمراجع

ابن قتيبة الدينوري. (1949). المعاني الكبير. الهند: دار المعارف العثمانية.
ابن منظور. (1993). لسان العرب. بيروت.
أبو العباس الشريشي. (2006). شرح مقامات الحريري. بيروت: دار الكتب العلمية.
أبو عبيد الهروي. (1984). غريب الحديث. القاهرة: الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
أبو هلال العسكري. (1987). جمهرة اللغة. بيروت: دار العلم للملايين.
أحمد ابن فارس. (1979). مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر.
الأزهري. (2001). تهذيب اللغة. بيروت: دار إحياء التراث.
الجوهري. (1987). الصحاح. بيروت: دار العلم للملايين.
السيوطي. (1998). المزهر. بيروت: دار الكتب العلمية.
القيرواني. (1981). العمدة. بيروت: دار الجيل.
الميداني. (1955). مجمع الأمثال. بيروت: دار المعرفة.
النويري. (2002). نهاية الأرب. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.
شمس الدين الحنفي. (2018). تفسير ابن كمال باشا. إسطنبول: مكتبة الإرشاد.
عبد القاهر الجرجاني. (1992). دلائل الإعجاز. القاهرة: دار المدني.

Sources and References

Ibn Qutaybah al-Dinawari. (1949). Al-Ma'ani al-Kabir. India: Dar al-Ma'arif al-'Uthmaniyyah.
Ibn Manzur. (1993). Lisan al-'Arab. Beirut.
Abu al-'Abbas al-Sharishi. (2006). Sharh Maqamat al-Hariri. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
Abu 'Ubayd al-Harawi. (1984). Gharib al-Hadith. Cairo: General Authority for Amiri Printing Affairs.
Abu Hilal al-'Askari. (1987). Jamharat al-Lughah. Beirut: Dar al-'Ilm lil-Malayin.
Ahmad Ibn Faris. (1979). Maqayis al-Lughah. Beirut: Dar al-Fikr.
Al-Azhari. (2001). Tahdhib al-Lughah. Beirut: Dar Ihya' al-Turath.
Al-Jawhari. (1987). Al-Sihah. Beirut: Dar al-'Ilm lil-Malayin.
Al-Suyuti. (1998). Al-Muzhir. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
Al-Qayrawani. (1981). Al-'Umdah. Beirut: Dar al-Jil.
Al-Maydani. (1955). The Collection of Proverbs. Beirut: Dar al-Ma'rifah.
Al-Nuwayri. (2002). The Ultimate Goal. Cairo: National Library and Archives.
Shams al-Din al-Hanafi. (2018). Ibn Kamal Pasha's Commentary. Istanbul: Al-Irshad Library.
Abd al-Qahir al-Jurjani. (1992). The Proofs of Inimitability. Cairo: Dar al-Madani.

DOI : https://doi.org/10.47831/4m0g3f38